

الذكرى الثالثة لأحداث سبتمبر: أمريكا مازالت تحت الحصار

11-9-2004

وما بين الحصار الذي تفرضه إدارة بوش وتسخر له آلة إعلامية ضخمة والحصار الذي يفرضه عدم إطلاع الأمريكيين العاديين على حقيقة ما يقع يظل ما حدث في الحادي عشر من سبتمبر لغزا كبيرا يريده البعض أن يظل كذلك.

بقلم أميمة عبداللطيف

خلف أغلال الاحتفالات ولحظات الصمت والصلوات التي تقام في الكنائس علي أرواح الضحايا وقراءة أسماءهم فيما غدا تقليدا سنويا وحملة انتخابية مستعرة، تتبلور في الذكرى الثالثة لأحداث الحادي عشر من سبتمبر صورة مجتمع في أزمة. وقد لخصتها "نيويورك تايمز" في افتتاحياتها اليوم "بأننا تعلمنا أن نعرف ماذا حدث بدون أن نعرف ماذا حدث"، هذه الدرجة من الشعور بالتخبط وعدم المعرفة الكاملة حتى بعد مرور ثلاث سنوات على الأحداث ورغم آلاف الصفحات من التقارير واللجان التي شكلت والقوانين التي صدرت والحريات التي كبلت، مازال الأمريكيون يجهلون حقيقة ما حدث.

هذا الشعور بالأزمة عكسته العديد من الكتابات الأمريكية التي حاولت قراءة الحدث وهو يدخل عامه الرابع. وتعترف يومية "يو إس إيه توداي" بأن الأمريكيين يعرفون تماما أنهم مازالوا في حالة حرب ولكنهم لا يعرفون على وجه التحديد الطريقة المثلى حتى الآن للرد. واعتبرت الجريدة أن "لحظة الإتحاد والوحدة" كما وصفتها التي جمعت الأمريكيين قد ولت، وأن هذه اللحظة التي جعلت أمريكا تبدو مختلفة تماما عن أي وقت مضى، حينما كان يصعب أن تجد مبني في أمريكا لم يرفع العلم الأمريكي

وحيثما كانت أمريكا تعلم كيف تشعر.

أما الشعور الذي يسود المجتمع الأمريكي على اختلاف توجهاته فيمكن استنتاجه من الصورة التي رسمتها تلك التقارير الصحفية، حيث تواصل "يو إس إيه توداي" القول بأن "الجميع أصبح أقل ثقة بخصوص وجهة أمريكا، بل وتطرح تساؤلات مهمة من قبيل "هل العراق على سبيل المثال جزء أساسي من الحرب على الإرهاب؟ أم أن الحرب خلقت "إرهابيين" أكثر؟ هل أعطى Patriotic Act قانون السلامة الوطنية وكالات المخابرات سلطات وصلاحيات لتعقب "الإرهابيين" أم أنه سلب الأمريكيين تراثهم من الحريات المدنية؟ وهل إن الولايات المتحدة تقود حلفائها في الحرب على "الإرهاب" أم إنها تخيفهم وتبعدهم بمواقفها العدائية؟ هذه كلها تساؤلات تقول الجريدة إن عامة الأمريكيين بدأوا يفكرون فيها بعد أن انتهت لحظات الصدمة الأولى. هناك أيضا اعتراف مهم تسوقه العديد من الكتابات في أن معظم الأمريكيين اليوم "منقطعين عن متابعة الحرب على الإرهاب"، وتذكرهم بها فقط الإجراءات الأمنية المشددة في المطارات أو التحذيرات الملونة التي توجه لهم من وقت لآخر. ويشير استطلاع للرأي أجراه معهد جالوب الشهر الماضي بأن 11% فقط من الأمريكيين يشعرون بأنهم "قلقون أو أن أحد أفراد عائلاتهم قد يكون ضحية لهجمات "إرهابية"، بينما قال 77% من الأمريكيين أنهم لم يغيروا من عاداتهم الحياتية بسبب أحداث سبتمبر. إن النقاشات التي دارت خلال السنوات الثلاث الماضية ما بين الحريات المدنية أو الأمن، أو ما بين حروب الضرورة وحروب الاختيار كلها تحدد ماهية الرد الأمريكي. غير أن ما يميز ذكرى هذا العام، أنها أصبحت حدثا انتخابيا بامتياز، حيث تأتي الذكرى الثالثة في ظل مناخ مشحون سياسيا

ودخلت الحملات الانتخابية لكل من الرئيس الأمريكي ومنافسه جون كيري على خط الاحتفال بالمناسبة، بل وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من لعبة الإنتخابات الأمريكية حتى إن صحيفة "لوس أنجلوس تايمز" تحدثت في تقرير مفصل عن أن عائلات الضحايا انخرطوا في نشاط سياسي مكثف، وأصبح من الطبيعي أن تجد أفراداً من عائلات الضحايا يظهرون في المؤتمرات الانتخابية لكل من الحزب الديمقراطي والجمهوري، حتى إن هناك نوعاً من الانقسام أشارت إليه الجريدة بين عائلات الضحايا الذين تفرقت أصواتهم بين مؤيدي بوش ومؤيدي كيري.

لم تتوقف المراجعات والقراءات التي يقوم بها الأمريكيون حيال أحداث سبتمبر، ورغم قول الخبراء الأمنيين الأمريكيين بأن ثمة نجاحات جيدة قد أحرزت في سبيل القضاء على تنظيم القاعدة وبأن الموقف تغير كلية منذ وقوع الأحداث، غير أن الرأي المناوئ يرى بأن زعيمي التنظيم مازالا طليقيين، بل إن أيمن الظواهري حذر الأمريكيين من هزيمة شديدة في العراق وأفغانستان، وفي تقرير صدر من مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية الشهر الماضي حذر من أن القاعدة مازالت تعمل على حيازة أسلحة كيماوية وبيولوجية ونووية، ويرى التقرير بأن التنظيم أصابته ضربات موجعة نتيجة جهود مكافحة "الإرهاب".

غير أن ما بدا جديداً هو الحضور الواضح للأصوات التي تجاهر بانتقادها لسياسة الرئيس بوش وطريقة تعاظم إدارته مع الحدث وهو الأمر الذي اعتبره البعض "كارثياً". لقد اكتسبت هذه الأصوات زخماً إعلامياً وسياسياً كبيراً تراكم فقط خلال فترة الستة أشهر الماضية. هذه الأصوات كانت مكموعة في الفترة التي تلت الأحداث، بل ولم يكن أحد ليجرؤ على رفع صوته بالانتقاد لبوش وإلا ووجه بسيل من الاتهامات أقلها عدم الولاء

وأعظمها الخيانة الوطنية، فربما أكثر ما يميز ذكرى العام الثالث هو هذا الوجود القوي لتلك الأصوات التي بدأت تجد لها طريقا في افتتاحيات الجرائد الكبرى وفي وسائل الإعلام الأمريكية. غير أن المجتمع الأمريكي بعد مرور ثلاث سنوات مازال غير قادر على الخروج من حصار الخوف الذي فرضته إدارة الرئيس بوش متبعة نهج الإعتماد على عامل الخوف fear factor لإستمرار السيطرة علي المجتمع وقمع الأصوات المعارضة التي تتطلب بطرح الأسئلة الكبرى.

وما بين الحصار الذي تفرضه إدارة بوش وتسخر له آلة إعلامية ضخمة والحصار الذي يفرضه عدم إطلاع الأمريكيين العاديين على حقيقة ما يقع يظل ما حدث في الحادي عشر من سبتمبر لغزا كبيرا يريده البعض أن يظل كذلك.